

أنوار كاشفة      سلسلة رمز وحقيقة      الحلقة الثانية والأربعون

سفر النبي دانيال (٣)

إنقاذ الفتية الثلاثة من أتون النار

مستمعي الكريم ، مازلنا ندرس أسفار الأنبياء في العهد القديم من الكتاب المقدس . وهي الأسفار التي احتوت على العديد من النبوءات ، التي تحدثت عن خلاص الله الذي سيُعلن ، والمسيح المخلص الآتي .

وكنا قد بدأنا قبل لقاءين بدراسة سفر النبي دانيال . فتأملنا بحلم التمثال الذي رآه الملك نبوخذنصر ، وتفسير النبي دانيال له . وفعلا تعاقبت عبر التاريخ أربع ممالك ، وأتى المسيح في عصر المملكة الرومانية الرابعة. ثم درسنا نبوءة السبعين أسبوعا ، التي كشفت لنا عن موعد مجيء الملك المسيح بالضبط ، والعهد الجديد الذي سيقمه، وإبطاله للذبايح الحيوانية. وتحدثت عن دينونة الله للشعب اليهودي، وخراب أورشليم.

صديقي المستمع ، قد يسأل أحدهم : إذا كان المسيح هو كلمة الله الأزلي الموجود منذ الأزل ، فهل كان يظهر إلى الناس قبل تجسده ومجيئه؟ حقا إنه تساؤل هام، وجدير بالاهتمام والإجابة. وفي سفر النبي دانيال توجد حادثة واقعية حصلت ، تكشف لنا هذه الحقيقية ، أي حقيقة ظهور المسيح قبل تجسده إلى البشر. وتؤكد في نفس الوقت وجود المسيح عند الله الأب منذ الأزل.

نقرأ هذه الحادثة في الأصحاح الثالث من سفر دانيال. حيث يبدأ الأصحاح بالحديث عن نبوخذنصر الملك البابلي ، وكيف صنع تمثالا من ذهب ، طوله ستون ذراعا . وعند تدشين التمثال ناد مناد قائلا: " قد أمرتم أيها الشعوب والأمم والأسنة، عندما تسمعون صوت القرن والناي والعود والرباب والسنطير والمزمار وكل أنواع العزف ، أن تخرّوا وتسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك. ومن لا يخر ويسجد ففي تلك الساعة يُلقى في وسط أتون نار متقدّة . لأجل ذلك وقتما سمع كل الشعوب صوت كل أنواع العزف ، خرّوا وسجدوا لتمثال الذهب الذي نصبه نبوخذنصر الملك. (دانيال ٣ : ٤-٧)

لقد صنع إذن الملك الوثني نبوخذنصر تمثالا عظيما من ذهب ، وطلب من جميع المقيمين أن يسجدوا لهذا التمثال. وإلا يُلقى كل من لا يسجد له في وسط أتون النار المتقدّة. لكن كان يوجد في مملكة بابل يهود مسيبيين، من يؤمنون بالله الواحد ويسجدون له وحده. ومن يستحيل عليهم السجود لأي تمثال مصنوع باليد. وهكذا لم يسجدوا للتمثال الذي صنعه نبوخذنصر. وكان لا بد أن يكتشف الكلدانيون من سكان البلاد ، أن هؤلاء اليهود لم يسجدوا لتمثال نبوخذنصر. فذهبوا إلى الملك ، واشتكوا على ثلاثة منهم ،

كان الملك قد عيّنهم مسؤولين في ولاية بابل . وقالوا للملك: " يوجد رجال يهود الذين وكلّتهم على أعمال ولاية بابل شدرخ وميشخ وعبد نغو . هؤلاء الرجال لم يجعلوا أيها الملك اعتبارا . آلهتك لا يعبدون ولتمثال الذهب الذي نصبت لا يسجدون ."  
(دانيال ٣: ١٢)

حينئذ أمر الملك نبوخذنصرّ بغضب وغيظ، إحضار هؤلاء الرجال الثلاثة قدامه . وبدأ الملك استجوابهم . فقال لهم: "تعمدا يا شدرخ وميشخ وعبد نغو لا تعبدون آلهتي ولا تسجدون لتمثال الذهب الذي نصبت ؟ فإن كنتم الآن مستعدين عندما تسمعون صوت كل أنواع العزف إلى أن تخروا وتسجدوا للتمثال الذي عملته . وإن لم تسجدوا ففي تلك الساعة تُلْقون في وسط أتون النار المتقدّة. ومن هو الإله الذي ينقذكم من يديّ . فأجاب شدرخ وميشخ وعبد نغو وقالوا للملك. يا نبوخذنصرّ لا يلزمنا أن نجيبك عن هذا الأمر . هوذا يوجد إلهنا الذي نعبده ، يستطيع أن ينجينا من أتون النار المتقدّة ، وأن ينقذنا من يدك أيها الملك . وأضافوا قائلين : وإلا فليكن معلوما لك أيها الملك ، أننا لا نعبد آلهتك ، ولا نسجد لتمثال الذهب الذي صنّعه ."  
( دانيال ٣: ١٤ - ١٨)

يبدو واضحا أن هؤلاء الرجال الثلاثة قد تحدوا الملك وأوامره ، فامتلاً غيظا منهم . وأمر خدامه بأن يحموا الأتون سبعة أضعاف أكثر مما كان معتادا أن يُحمى . وأمر رجاله بأن يوتقوهم ، ويلقوهم في أتون النار المتقدّة. وفعلا، " أوثق هؤلاء الرجال الثلاثة، في سراويلهم وأقمصتهم وأرديتهم ولباسهم ، وألقوا في وسط أتون النار المتقدّة ."  
(دانيال ٣: ٢١) وبما أن الأتون قد حُمي جدا ، فقد حرق لهيب النار الرجال الذين ألقوهم، وماتوا. لكن ماذا حصل لهؤلاء الرجال الثلاثة شدرخ وميشخ وعبد نغو في وسط أتون النار الملتهبة ؟ وهل أنقذهم الله؟ وكيف ؟

بعد أن ألقى عبيد الملك نبوخذنصرّ ، شدرخ وميشخ وعبد نغو ، في أتون النار المتقدّة ، حصل أمر لم يكن متوقعا. إذ نقرأ ما يلي: " حينئذ تحرّر نبوخذنصرّ الملك وقام مسرعا ، فأجاب وقال لمشيريه : ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار . فأجابوا وقالوا للملك صحيح أيها الملك . أجاب الملك وقال : ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشّون في وسط النار وما بهم ضرر . ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة . ثم اقترب نبوخذنصرّ إلى باب أتون النار المتقدّة ، وأجاب فقال : يا شدرخ وميشخ وعبد نغو يا عبيد الله العلي ، اخرجوا وتعالوا. فخرجوا من وسط النار. فاجتمعت المرازبة والشّحن والولاية ومشيرو الملك، ورأوا هؤلاء الرجال ، الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم. وشعرة من رؤوسهم لم تحترق ، وسراويلهم لم تتغير، ورائحة النار لم تأت عليهم ."  
(دانيال ٣: ٢٤-٢٧)

وهنا بارك الملك إله شدرخ وميشخ وعبد نغو الذي أنقذهم ، لأنهم أكلوا عليه ، وأسلموا أجسادهم ، لكيلا يعبدوا إلهها غير إلههم. وعندها أصدر الملك نبوخذنصر أمره ، بأن كل شعب يتكلم بالسوء على إله شدرخ وميشخ وعبد نغو فإنهم يصيرون إربا إربا ، إذ ليس إله آخر يستطيع أن ينجي هكذا . ورفّع الملك الرجال الثلاثة في مناصبهم بولاية بابل. حقا إنها حادثة عجيبة ، تؤكد على حفظ الله لأتقيائه الأماناء ، حتى في وسط أتون النار المتقدة. وتشير في نفس الوقت إلى أمانة هؤلاء الرجال الثلاثة ، ورفضهم لعبادة إله آخر غير الله خالق هذا الكون.

لكن الأمر الملفت للانتباه ، والذي أثار استغراب الملك نفسه، هو ظهور رجل رابع كان يتمشى مع هؤلاء الرجال الثلاثة، في وسط أتون النار المتقدة ، ووصف الملك له بابن الآلهة. فمن هو هذا الشخص العجيب ؟ يبدو واضحا أن هذا الرجل الرابع الشبيه بابن الآلهة، هو ابن الله الوحيد، كلمة الله الأزلي، الذي كان موجودا مع الله الأب منذ الأزل. أي هو المخلص المسيح قبل تجسده ، ومجيئه إلى عالمنا. مع العلم أنها ليست المرة الأولى، التي يظهر فيها كلمة الله الأزلي في العهد القديم. فقد ظهر لإبراهيم الخليل ، ثم ظهر لكليم الله موسى ، وظهر أيضا لمنوح والد شمشون ، وأخبره أن اسمه عجيب.

وعلينا أن نلاحظ مستمعي ، أن تعبير ابن الله ، ليس المقصود به أن الله تزوج وأنجب ابنا ، حاشا وكلا. بل هو يشير إلى أنه المعبر عن الله وحامل صفاته ، والمتحد معه في الجوهر منذ الأزل . مع التأكيد هنا أن الله واحد. ولهذا كتب البشير يوحنا في بشارته قائلا: " في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله هذا كان في البدء عند الله. كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان . " (بشارة يوحنا ١: ١و٢)

نعم ، لقد خلق الله الأب العوالم والأكوان بواسطة الكلمة الأزلي. لكن الكلمة نفسه كما كتب البشير يوحنا : " صار جسدا وحل بيننا ورأينا مجده مجدا كما لوحد من الأب مملؤا نعمة وحقا . " (بشارة يوحنا ١: ١٤) أي أن الكلمة الأزلي تجسّد وصار إنسانا في المخلص المسيح، وهو الذي كشف عن مجد الله الأب في شخصه . هذا الكلمة الأزلي نفسه ظهر قديما، كما رأينا اليوم في حادثة سيره مع الرجال الثلاثة في أتون النار المتقدة. وإن ظهوره في هذه الحادثة ، يؤكد إتحاده مع الله الأب منذ الأزل. فهل تُراك مستمعي اكتشفت حقيقة هذا المخلص الفريد العجيب ؟ أو لا ترغب أن تتعرف عليه عن طريق الإيمان ؟